المشرق

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش

ما كاد سيادة الحبر الجليل شكرالله الخوري يطأ ارض ابرشيَّتهِ صور حتى صمَّم العزم على زيارة ابنائهِ المتبددين في انحاء بلاد بشارة فاسعدني الحظ ان اتشرَّف بخدمة سيادتهِ مع حضرة الاب يوحنَّا مارون السبعلي وحضرة الاب بيليسيه اليسوعي مدير مدارس بلاد بشارة فاحببت ان اسطِّر اخبار هذه السياحة الاسقفيَّة وما جرى لنا فيها مع ما لقيناهُ في طريقنا من الآثار ولحظناهُ من احوال السكَّان وعاداتهم. ولمَّا كانت الجرائد عموماً وجريدة البشير خصوصاً روت في اعمدتها ما انجزهُ هناك سيادة الحبر الجديد من الاعمال الجليلة ضربنا هنا عن تعدادها صفحاً لنقصر الكلام على ما يهمُّ قرَّاء المشرق من تعريف البلاد وذكر مآثر اهلها لاسيما المتوغلين في داخليَّة سنجق عكَّا

*

اعلم انَّ ابرشيَّة صور الجديدة التي فصلها آخراً الكرسي الرسولي عن ابرشيَّة صيداء يحدُّها شمالاً نهر الزهراني وجنوباً صحاري العرب وغرباً البحر المتوسط وشرقاً بحيرة الحولة ونهر الاردن. وقد تجوَّلنا في انحائها مدَّة ستَّة اشهر توغَّلنا في قلب تلك الانحاء وقطعنا حزونها وبطونها دون ان نستوفي كل جهاتهـا فأجَّلنا زيارة يافا وغزَّة والقدس الشريف الى فرصة أخرى

١ من صيداء الى صور

دخلنا صيداء في ٢٩ من أيار سنة ١٩٠٦ فحيَّتنا تلك سيِّدة البحار التي ملأ سابقًا اسمُها المعمور وكان نزولنا ضيوفًا مكرَّمين على احد اعيان النصارى في البلدة حبيب افندي اسطفان رزق الله الشهير بورعهِ وارمحيَّتهِ . وقد اظهر الصيداويُّون حفاوةً تليق بمقام حبر جليل . وبعد يوم قضيناهُ هناك خرجنا من صيداء في سلخ أيار مع وفد من اهل المدينة وبعض الاصدقاء من جزّين وسارت بنا العربات على سيف البحر تنهب خيلها الارض نهبًا حتى وصلنا الزهرانيّ فقطعناهُ ودخلنا في ابرشيَّة سيادتهِ

فلاحت لنا بعد عبور النهر عن شمالنا انقاض صرفند القديمة التي ورد ذكرها مرارًا في الاسفار المقدسة لاسيما في اخبار ايليَّا النبيّ . وقيل انَّ الصيداويين اتخذوا مكانها في سالف الاعصار لاصطناع الزجاج فدعوها باسمها دلالة على صَهر الزجاج واستحضارهِ . وقد خربت صرفند بعد عمارها وتذكَّرنا فيها قول الشاعر :

والارض كالكثبان تشقي وتسعد

اما صرفند الحاليَّة فرقعها بين اكمتين في وسط غابة صغيرة من الزيتون مرتفعة عن شاطئ البحر

ثم رأينا بعد صرفند قرية عدلون وهي حقيرة في اسفلها مغاور ومدافن سبق المشرق (١ : ٩٨) الى وصف ظرَّانها العجيب . وبعد ساعة من الزمان بلغنا نهر القاسميَّة وهو نهر الليطاني الذي يجري في سهل البقاع فيسرّ تحت قلعة الشقيف الى ان ينفذ بعد الانعطافات والتعريجات في سهل صور وهو الفاصل بين بلاد الشقيف وبلاد بشارة وهو اكبر انهار فلسطين بعد الاردن . وعلى مقربة منهُ جرى لطران الابرشيَّة الجديد استقبال شائق فكانت الفرسان من اهل صور وما يليها يمثلون العاب الجريد فيكرّون ويفرّون ويقبلون ويدبرون مراعين في سيرهم النظام المتعارف بينهم وكانت ملابسهم وازياؤهم على شكل ازياء اهل البادية ويتغنَّون باهازيجهم ويطلقون البنادق اجلالًا لطرانهم

ولمَّا عبرنا جسر القاسميَّة ما لبثت ان لاحت لنا صور فرأينا منها ومن سدّها على رأي ابي الفرج شبه يدٍ مبسوطة في البحر راحتُها المدينة وذراعاها وساعدها السدّ وبدنها البرّ . على انَّ مسيرنا في ازقتها الضيّقة بين انقاضها واخربتها ذكَّرنا بصروف الدهر

وكوارثه. الذي حوّل احدى عواصم الدنيا الى بلدة خاملة. ولو شئنا ذكر مفاخر صور القديمة لاتّسع بنا المجال فالاولى بنا ان نحيل القراء الى التآليف العديدة التي وضعت في آثارها ولا تزال الاكتشافات الجديدة تزيدنا كل يوم علماً بتلك الحاضرة الجليلة (اطلب المشرق ٨: ٣٧٠). اما اليوم فيبلغ عدد سكان صور ٥٠٠٠ النصارى بينهم نحو ٨٠٠ ونصفهم بنيف موارنة اصلهم من لبنان استوطن بعضهم صور منذ اواسط القرن الثامن عشر كما يُستدل من كتابة تاريخها ١٧٤٠ للمطران جبرائيل عوّاد اسقف عكا يعيّن فيها لخدمة موارنة صور وقرية علما الشعب الخوري ابراهيم اسحق من دبل في بلاد بشارة. وقد شُيدت لهم كنيسة منذ امد قريب لم تُرصّف بعد بالبلاط فامر سيادته بانجاز العمل سريعاً

٢ من صور الى الناصرة

بعد ان تفقد الراعي رعيّته بهتة وغيرة غادرنا صور الى علماء الشعب في ٢١ حزيران فاجتزنا بعد ساعة راس العين حيث يجعل الاثريون موضع صور القديمة وهناك بعض الآثار كقناة للمياه وقناطر وغير ذلك. وعند راس العين اربع برك مياه ينسبها البعض لسليمان والبعض للملك حيرام والاصحّ انّها اعمال دول مختلفة وما بقي منها هو من آثار الرومان رمّمهُ الصليبيّون

ثمّ كان مرورنا على البياضة وهو الرأس الابيض الذي يشرف على البحر حيث نقرت في صخور بيضاء طباشيريّة طريق مرتفعة تُرى من تحتها مياه البحر الزرقاء ويكاد السائر يصيبهُ الدوار من هول منظرها. وبعد ان قطعنا هذه المعابر الخطرة انكشفت لنا اخربة قصر قديم يُنسب الى الاسكندر وبقربه خان يدعى خان اسكندرونة تتدفّق عندهُ ينابيع ماء زلال فتغذّينا هناك واخذنا نصباً من الراحة

ثم واصلنا السير نحو علماء الشعب وبعد نصف الساعة عثرنا بالقرب من شاطئ البحر على آثار الطريق الرومانيّة الساحليّة وكنّا نرى على شمالنا مدافن منقورة في الصخر الى ان لاحت لنا اعمدة ضخمة شاهقة تُعرف بخرائب امّ العواميد وصفها الاثريون وصفاً مدققاً وارتأوا فيها الآراء المتباينة. والشائع اليوم بين العلماء ان امّ العواميد هي من آثار مدينة حمّون الفينيقيّة بدلالة الوادي المسمى حتى اليوم باسم وادي حمول يبدلون النون لاماً وللعلّامة كارين (Guérin) حجج عديدة تاييداً لهذا الراي وقد فنّد مذهب

ريحان الذي زعم انها مدينة لوذيقية. ومن جملة مستنداته كتابة فونيقية وُجدت هناك ذُكر فيها معبودها عشترت على هذه الصورة : « للملك عشترت اله حمُّون نذرٌ من عبد شمون عن ابنه »: وقد اثبت المشرق (٦ : ١٨٠ — ١٨٢) ما وجد سنة ١٩٠٢ من التماثيل والدمى والانصاب والكتابات القديمة في امّ العوامية فليُراجع

ثم قطعنا وادي حمول وتوقفنا رابيةً موقعها بين الوادي المذكور شمالًا ووادي العراض جنوباً. وهذا الوادي العراض فيهِ مدافن كثيرة كان اهل حمون يدفنون فيها موتاهم. ثم مشينا ساعة فوصلنا الى علما وكان احداث القرية خرجوا للاقاة راعيهم وسبقوا اهلهم لنيل بركة مطرانهم الجديد فباركهم بقلب مفعم حبًّا ولطفاً على مثال معلمه الالهي

علما احدى قرى بلاد بشارة قيل أنها « عنّة » المذكورة في سفر يشوع (ف ١٩) وكانت في تخوم سبط اشير وهي اليوم تابعة لقائمقاميَّة صور عدد اهلها نحو ٦٥٠ نصفهم موارنة والباقي روم كاثوليك وبروتستانت . امَّا عوائدهم فاشبه بعوائد العرب الذين يجاورونهم في تلك الانحاء كعرب البطيشيّة وخرائب ياورين وبُرْدَي. فيلبسون مثلهم القميص الطويل فوقهُ عباءة ملوَّنة وعلى الراس العقال والكوفيَّة ويشدُّونها الحطَّة وفي ارجلهم الجزمات المصبوغة بالقرمز الاحمر . وكذلك ملابس نسائهم كملابس نساء العرب وهنَّ يتحلين بانواع الحليّ والغوازي

وتشبه لهجتهم لهجات قبائل العرب المجاورة لهم الفاظ كثيرة واصطلاحات لا يعرفها غيرهم . وهذا مثال من كلامهم وهو غناء يقولونهُ في وصف القهوة وتهيئتها نوردهُ تفكهة للقراء :

البارحة ما طيَّق الجفن على موق (١ والقلب بو هجس وهاجس وهو جاس
والدمع من العين على خد مغروق من ضيم دنيا همَّها شيب الراس
قوم سوي فنجان شافي من العوق (٢ يجلي عن قلب المشقة اليباس
دبر بالك عليها من النيّ والحروق (٣ دبر بالك عليها يالّ صرت حمّاس
ان لونها الشفاف يشفي من الذبوق يشبه شيبه الورس (٤ يجمد على الكاس
ويفوح منها الطيب كما فاح من صندوق او قوصة العنبر في دبرة بنياس

(١ اي مأق العين (٢ العوق التعب
(٣ اي احذر من ان تحرقها او تتركها نيّة (٤ الورس الزعفران

وادعج جا المسمار والهال مدقوق (١ وان زدتها من جوزة الطيب
في دلة مربوب وتقول مخروق (٢ شابة يطرب جا الجلاس
واتّصل الحديث ما بين الاجاويد مفروق والنجر يضبح بينهم وتقول نحاس (٣
ولا ما صار حنّاها على جل مدقوق (٤ حيث لابس ثياب العز مدقوق النحاس (٥

امّا مساكن هذه القرى فمن الطين المجفّف في الشمس . ويسكن البيت اهلهُ مع ما عندهم من المواشي . وان حلَّ عندهم الضيف اكرموهُ اكراماً عظيماً وذبحوا لهُ الذبائح وهيّأوا المآسف الكبيرة من الارزّ ودعوا اليها اهل الضيعة

امّا الصنائع عندهم فلا يعرفون منها سوى الحراثة ورعاية المواشي . والنساء يشاركن الرجال في الحراثة . ولهنّ حذاقة في تطريز العراقيّات التي يلبسها الرجال تحت الكوفيات وكذلك يشتغلنَ اطباق القش بالوان ظريفة ونقوش مختلفة تأخذ بابصار ناظرها

امّا آداب اهل هذه النواحي فهي سليمة تغلب عليها البساطة وشظف العيش ومواصلة الشغل وروح الدين . ومن سوء طباعهم اخذهم بالثأر فاذا وقعت بينهم الضغائن هبُّوا للانتقام واستسلموا للنهب والسلب وسفك الدماء لا يردّهم رادع الدين ولا تضبطهم بصيرة ولولا الحكومة السنيّة تضع حدًّا لشراستهم لأفنوا بعضهم بعضاً . ولحضرة الاباء اليسوعيين في علما مدرسة يسعون جهدهم في ترقيتها وحسن تربية الاحداث المترادين اليها . وكثيرًا ما انقطعوا في علما وغيرها من بلاد بشارة الى اعمال الرسالة من وعظ ورياضات وتعليم منذ نيف وخمسين سنة

ولم يُطل سيادة الراعي الجليل السكنى في علما لشغل اهلها بالحصاد فآثر الرجوع اليها في الخريف وأجّل زيارة بقيّة بلاد بشارة الى ذلك الفصل فعاد وعدنا بخدمته الى الساحل في ٢٤ حزيران وزار في اواخر هذا الشهر عكّة وحيفا والناصرة وتفقّد شؤون

---

١) الدعج التحريك . والهال حبّ معروف يطيّبون به القهوة

٢) الدلة الركوة او ابريق القهوة . والمربوب المزوج الذي صار كالرب . والمخروق الثاقب

٣) الاجاويد السادة والنجر الدقّ . ويضبح يسمع اي يسمع دقّه كطرق النحاس

٤) حنّى القهوة ثقلها الراكد في الركوة . والجل الجلّة التي يوقدون به النار اي لا تدع ثقل القهوة على الجلّة لئلّا يدوسها المارّة

٥) يختم بالدعاء للذي هيّأ القهوة وهو قد دقّ دقّة شابّة حول عينه

ابنائهِ فيها ولمَّا كانت هذه المدن الثلاث مشهورة قد ورد جانب من اخبارها وآثارها في المشرق لا نذكر من امرها غير ما لهُ بعض علاقة مع ابرشيَّة صور المارونيَّة ثمَّ نعود الى وصف بلاد بشارة

٣ عكا حيفا والناصرة

(عكا) دخل سيادة المطران شكر الله مدينة عكا في ٢٥ حزيران فتلقاهُ اهلها بغاية الحفاوة والاكرام ونزل في دار خاله الوجيه الخواجه ابراهيم نصر الله خوري فقضى هناك ١٢ يوماً تفرَّغ فيها لصوالح رعيَّتهِ. وقطيعهُ فيها صغير يبلغ ١٢٠ نفساً وقد كانوا سابقاً اوفر عدداً فرحل كثيرون منهم الى اميركة. امَّا اصلهم فمن انحاء لبنان انتقل بعضهم اليها منذ اواخر القرن السابع عشر. والدليل عليهِ كتابة وجدناها على رخامة تحت مذبح القديس اطونيوس كانت في قسم الكنيسة القديمة وهي من نوع الزجليَّات هكذا:

ابن باولي قبرصي اسمهُ انطون كاره مصوّر تابع لمار مارون
باثنين وعشرين من عمره مات بالطاعون سنة الف وسبعمائة واثنين وثلاثون

وفي سنة ١٧٥٠ وسَّع موارنة عكا كنيستهم والظاهر انَّ محسني فرنسة ساعدوهم على ذلك وهناك كتابتان الواحدة لاتينيَّة فوقها شعار ملوك فرنسة من الزنبق وهي

ACTUM PRIMA DIE JANUARII, 1750

وكان احد هؤلا المحسنين هو السيد لافركاد احد تجارهم في سوريَّة وقد وجدنا الصحيفة التي كانت فوق ضريحهِ مكتوب عليها تاريخ وفاتهِ

HIC JACENT OSSA J- B. LAFORCADE

امَّا الكتابة العربيَّة فمؤداها ان الكنيسة شُيدت على اسم العائلة المقدَّسة في ايَّام البابا بنديكتوس الرابع عشر والبطريرك سمعان عواد والمطران جبرائيل عوَّاد وكان خوري الرعيَّة القس ميخائيل فاضل الذي رُقي بعد ذلك الى الدَّة البطريركيَّة

اما بقيَّة طوائف عكة فنحو ٩٠٠٠ الثلثان منهم مسلمون والباقون روم ارثوذكس وعددهم ١٤٠٠ وروم كاثوليك نحو الالف مع قليل من اليهود واليابيين الذين تضاربت في مذهبهم الاقوال

(حيفا) بارح سيادة الراعي عكَّا في ٨ تموز ليزور حيفا فبعد حفلات الاستقبال

نزل على الرحب والسعة في دار اصحاب الاريحيّة والتدين انجال المرحوم المبرور سليم نصر الله خوري واقام في حيفا اسبوعين للنظر في شؤون ابنائه هناك. والموارنة في هذه المدينة نحو ٧٠٠ نسمة وعهدهم فيها من زمن قريب كما يدلّ على ذلك سجلّ العماد الذي كان الاباء الكرمليون يدوّنون فيه اسماءهم قبل بناء كنيستهم الحاليّة. فان اقدم اسم ماروني وجدناه تاريخهُ سنة ١٨٤٠

(الناصرة) سار اليها سيادتهُ في ٢١ تموز صباحاً وركبنا بصحبتهِ عربةً فقطعنا قسماً من مرج بني عامر الشهير بخصبهِ ولقينا في طريقنا نهر قيشون فتذكرنا ما جرى عندهُ من الوقائع المسطَّرة في الكتاب الكريم لاسيما انتصار دبورة والعبرانيين على سيسرا وجيشهِ كما رُوي في سفر القضاة ثمّ مقتل كهنة البعل بيد اليّا النبي. وكان وصولنا الى الناصرة في هاجرة النهار واهل البلد قد خرجوا افواجاً للاقاة راعيهم لكنّ سيادتهُ كان اخفى عنهم ساعة وصولهِ وجرى في غير الطريق المألوفة فحُرم القوم من المظاهرات التي اعدّوها لشخصهِ الكريم

وليست في بلاد الجليل مدينة كالناصرة تعدّدت فيها الطوائف المختلفة المنشأ. ولكل طائفة تاريخها لا يمكننا استيفاء اخبارها جميعاً فنكتفي بالاشارة الى اصل الموارنة نقتطفهُ من تقرير كتبهُ سنة ١٨٥٧ يعقوب فرح الروم الارثوذكسيّ فاطلعنا عليهِ حفيدهُ الخوري صالح ونضيف اليهِ ما وجدناهُ في سجلّ كنيستنا بخط الخوري يوناوتورا الماروني

ظهر الموارنة في الناصرة في اواسط القرن السابع عشر وكانوا يصلُّون في كنيسة الرهبان الفرنسيسيين. ويتبعون الطقس اللاتيني ومنهم تفرَّع اللاتين الذين اليوم في الناصرة. وممن اشتهروا حينئذٍ يمّين ابو جرجس شمّا وفي ايامهِ كثرت الموارنة الذين استوطنوا الناصرة فابتنى الخوري يوناوتورا بسعي يوسف شمّا وهمة ابراهيم صبّاغ كاخية ظاهر العمر ورخصة ظاهر المذكور كنيسة جمع احساناتها من مال ذوي الكرم من بيروت وعكّة وكرّسها سنة ١٧٧١ على اسم سيدة البشارة. ثمّ جاء الناصرة ناسٌ من بلاد بشارة من الطائفة المارونيّة انضمّوا الى اخوتهم وحافظوا على طقوسهم الى يومنا. ودونك الامر الذي اعطاهُ ظاهر العمر لتشييد الكنيسة:

انا سمعنا الى اعزازنا نصارى الناصرة الموارنة انهم يجيبوا لهم خوري من طائفتهم ويستقيم عندهم في مكان مخصوص ويعمر لهم كنيسة ويعاملهم فيما يخصّ امور دينهم وذلك لاجل تعميد

احوالهم كونهُ ضروري لهم وحرّرنا ذلك سندًا يدهم والحوري الذي يستقيم عندهم لا يشاهد من طرفنا الّا المليح حُرّر في ٢٢ جمادى ١١٨٢ ظاهر السر (له تابع)

الريـــاس

عودٌ على بدْ

لجناب الدكتور حبيب افندي الدرعوني

وعدنا في ختام مقالتنا الاولى عن الرياس (ص ٢٥٣) بان نأتي على تتمّة البحث في خواصّ هذا النبات وبيان اركان تركيبهِ . وقد جاءنا على اثر نشر الفقرة الاولى من هذا البحث بعض افادات ارسلها من الموصل الى مجلة المشرق جناب الموصلي داود ارميا مقدسيلو تذكر خلاصتها دليلًا على دقّة صاحبها في المراقبة وصحّة الاختبار والنتائج

قال المراسل الاديب انهُ لما كان في قضاء زاخو احدى ملحقـات ولاية الموصل عاين قومًا من الاكراد في ايّام الربيع قد اتوا بأحمال من هذا النبـات ليبيعوهُ في البلد وهم يدعونهُ باسم الريقاز . فسألهم عنهُ وعن مواطنهِ وكيفيّة منابتهِ والمقادير التي تُحصل منهُ ومفاعيلهِ المرويّة عندهم

فكان جوابهم انّ هذا النبات ينبت عفوًا في حدود الجبال المجاورة لقضاء زاخو يخضرّ ايام الشتـاء وينضج بكمال الربيع . وتكون منابتهُ كالنرجس والسوسن دوائر متفرّقة يستغلّون منهُ في تلك الناحيـة فقط من الف الى ١٥٠٠ اقّة ويبيّعون الاقّة بغرش . ويكون اكلهُ لماظًا لطيب طعمهِ امّا العارفون بخواصهِ فيصفونهُ للصفراء

قال المراسل فسألت والدي عن حقيقة الامر فافادني عنهُ ما ادرجتهُ هنا لفائدة العموم : انّ نبت الرياس يكثر في جبال زاخو في ناحية سندي وكلان وجبال العماديّة والتياري والكوبان وجبـال بدليس وباشتلعة وجولهُ فيرك وافضلهُ الجبليّ الذي يطمرهُ الثلج فاذا ذاب الثلج جناهُ اهل تلك الجبال واوسقوا بهِ دوابّهم او حملوهُ على ظهورهم فيبيعونهُ في اسواق المدن او يبدلونهُ من مأكولات اخرى يحتاجون اليها . وطعم الرياس لذيذ فيهِ حلاوة ممزوجة بحموضة وعفوصة وهو يطيّب نكهة الفم ويسهل هضم الاطعمة ويدفع الصفراء ويليّن المعدة ويدرُّ البول . يشبه شكلهُ طلع النخـل الصغيرة . وتبلغ